تجليات القدس في الشعر العربي

لمحة تاريخية

لم يرد في تاريخ العرب محنة أشد ضراوة وأطول عمراً وأكثر عمقاً من محنة القدس، فقد أثارت مشاعر الأدباء والشعراء في مختلف بلاد العروبة والإسلام على مر الوقت، فخلفوا لنا تراثاً أدبياً ضخماً في أحداثه، يتسم في معظمه بصدق القول والانتماء؛ وحرارة الأداء، وروعة التصوير. وليس هذا بالكثير على قدسنا؛ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ملتقى الأنبياء، وبوابة الأرض إلى السماء.

ولما تشغله القدس من مكانة دينية في الأديان السماوية الثلاثة، وما تتعرض له من تهويد وتغيير لملامحها التاريخية، بفعل السلطة السياسية المُحتَلّة للأرض والإنسان الفلسطيني، وما نتج من متغيرات القضية الفلسطينية وتحوّلاتها المتعدّدة، بحيث بدأت القدس تأخذ حضورها النسبي في الإنتاج الشعري العربي، وإن ظلّ هذا الحضور محدوداً كماً وكيفاً. لذا وجب على كل المخلصين والشرفاء- علماء وأدباء، شعراء وكتّاب، مفكرين وباحثين- من أبناء هذه الأمة أن يتناولوا القدس، هاجس الأمة وآلامها وآمالها، وإن ما فاضت به قرائح الشعراء هنا ما هو إلا روح الأمة وسفر نضالها، وأدب انتمائها وأصالة برها.. من هنا، ولأجل هذا، كانت هذه الدراسة؛ محاولة مني للإسهام ببصمة أدبية نتوج بها جبين القدس ببعض ما تستحقه منا ولا سيما وأني فلسطينية الروح والهوية..

ولما كانت القدس أرض المحشر والمنشر، فإن العيون تهفو إليها، وترنو القلوب للصلاة بين أعمدة الكنائس وأروقة المساجد التي توحي بأصالة العبد وروعة المعبود.

والقدس تعد من أكرم المقدسات الإسلامية، أكرمها القرآن الكريم في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (سورة الإسراء- الآية 1).

وتحدث عن القدس نبينا ورسولنا محمد صلى الله وعليه وسلم. ولبيت المقدس أُسري بالرسول الكريم ومنه عرج إلى السماء. وكان الركن الثاني في الإسلام الصلاة؛ أعظم المنح الإلهية في الإسراء والمعراج.

مسجد الصخرة

يرجع اهتمام المسلمين بالصخرة إلى أنها المكان الذي قدّم إبراهيم الخليل ولده إسماعيل عليهما السلام ذبيحا عليها، وكذلك علاقتها بقصة الإسراء والمعراج.

وتقع الصخرة نفسها تحت قبة المسجد مباشرة، وطولها من الشمال إلى الجنوب حوالي 17 متراً ونصف، وعرضها من الشرق إلى الغرب 13 متراً ونصف، وارتفاعها يتراوح بين متر ومترين، وقد بنى مسجد الصخرة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين، وشرع البناؤون في البناء سنة 66هـ- 685م، وفرغوا منه سنة 72هـ- 691م. و في عام 1099م حول الصليبيون المسجد إلى كنيسة، وبنوا عليه مذبحا، ولكن صلاح الدين الأيوبي أزال هذه المعالم، وزين القبة وستر الجدران بالرخام كما أهتم بعمارة المسجد ملوك بني أيوب والمماليك والعثمانيون ويتجلى في مسجد الصخرة جمال الهندسة والذوق العربيين، وقد أجمع المؤرخون على أنه من أجمل الأبنية على وجه البسيطة، كما وصفه البعض بأنه من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ[1].

[1] عبد القادر نمر محمد، مدينة القدس تاريخ وحضارة.

obeikandi.com

المسجد الأقصى

يقع في الجهة الجنوبية من رقعة الحرم الشريف، وعلى بعد خمسمائة متر تقريباً من مسجد الصخرة إلى الجنوب. (وكان هذا الاسم: (المسجد الأقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله). والذي بناه هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 574 هـ- 693م، وأنه تم في زمن ابنه الوليد (86 هـ- 705م). ويبلغ طوله 88م وعرضه 35م، ويقوم على 53 عموداً من الرخام و 49سارية مربعة الشكل[2].

حائط البراق

هو حائط كبير مبني من الحجارة الضخمة، يبلغ طوله حوالي 156 قدماً وارتفاعه 65 قدماً، يقدسه المسلمون نظراً لعلاقته الوثيقة بقصة إسراء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، إذ تذكر الروايات أن الرسول الكريم أوقف براقه ليلة الإسراء هناك.

ويؤلف هذا المكان اليوم جزءاً من الجدار الغربي للحرم القدسي، وأقيم عنده مسجد صغير لصلاة النافلة.

ومما لا شك فيه أن الصهاينة منذ قديم الأزل يسعون إلى تهويد المدينة المقدسة والاستحواذ عليها.

وأستعرض هنا بلمحة سريعة شذرات من تاريخ وحضارة هذه المدينة وأبدأ من الاسم فقد أطلق على القدس تسميات كثيرة نذكر منها[3]:

[2] عبد القادر نمر محمد، مدينة القدس تاريخ وحضارة.

[3] المرجع السابق.

obeikandl.com

– أورشليم أو أورسالم: والتسمية مؤلفة من أور "وتعني بالبابلية" مدينة و"سالم" هو إله السلام عند الكنعانيين.

– يبوس: سلالة حاكمة من قبيلة يبوس الكنعانية، حكمت القدس في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد.

– هيروسليما: بعد دخول الإسكندر بلاد الشام، أطلق اليونان على القدس هذا الاسم. ومنه أخذت الأمم الأوروبية "جيروسالم Jerusalem".

– إيليا كابتيولينا: أطلقه الإمبراطور الروماني هادريان (79 - 128م) على القدس، واستمرت هذه التسمية إلى أن حررها العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي.

– أوريشلم: اسم عرف به العرب القدس في جاهليتهم.

وهكذا يتبين لنا من دراستنا السابقة للآثار عن القدس الشريف أنها مدينة موجودة منذ أكثر من ألفي عام قبل ظهور اليهود على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى القديم. وأن بناتها كانوا من العرب الكنعانيين، بنوها ليعبدوا إله السلام. كما نستنتج أيضا، أن اليهود القدماء الذين أصبحوا من القبائل البائدة، واليهود إفراز الهجمة الاستعمارية الأوروبية على بلادنا، وضعوا لبنة واحدة في بناء قدسنا الشريف، وأن وجود اليهود في فلسطين كان وجوداً عابراً شأنه شأن كل الهجمات الغربية على وطننا العربي في القديم والحديث. وتضيف الدكتورة "كنيون" فتقول في بعض الكلام عن حفرياتها في القدس (1961 - 1967)".

وقد اتضح في ما كان من دراسات أثرية وتاريخية أن مدينة القدس التاريخية قامت على تل الظهور (أو فل الطور) المطلة على قرية سلوان إلى الجنوب الشرقي من الحرم الشريف والمسجد الأقصى وعلى مر العصور هجر هذا الموقع لتقوم القدس على تلال تقع إلى الشمال من الموقع الأول بين بابي الساهرة وحطة وبين مرتفع ساحة الحرم الشريف في

الشرق (جبل موريا) ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي وهي المرتفعات التي تقع داخل السور فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة داخل الأسوار.

يبلغ محيط سور القدس ميلين ونصف الميل وله أربعة وثلاثون برجاً وسبعة أبواب[4]:

1- باب الخليل Jaffa Gate في وسط الجانب الغربي من السور.

2- باب الحديد The New Gate في الزاوية الشمالية الغربية من السور.

3- باب الساهرة Herod Gate في الشمال الشرقي من السور.

4- باب العمود Damasus Gate وسط الجانب الشمالي من السور.

5- باب ستنا مريم St. Stepan's Gate في الزاوي الشمالية من السور.

6- الباب الذهبي The Golden Gate المدخل المباشر إلى الحرم الشريف، يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية.

7- باب المغاربة Dung Gate في الجانب الجنوبي الشرقي من السور.

[4] عبد القادر نمر محمد، مدينة القدس تاريخ وحضارة.

obeikandl.com